بناء اللغة وأثره في الدلالة النفسية المبالغة في دلالات الرجاء والخوف عند إضافة الضمير (ها) لصيغة (أفعال)

أ.د محمد توفيق عبد المحسن / جامعة الأنبار كلية الآداب

أ.م.د عبد الباسط عبد الكريم مطرود/ كلية الإمام الأعظم

Building language and its impact on psychological significance

The signs of fear and hope in the addition of conscience (ha) to the formula (acts) model

Assistant Professor Dr. Abdul Basit Abdul Kareem Matroud / Faculty of Imam Al-Adham, Department of Arabic Language

الملخص

تدور معاني (ضمر) حول " الخفاء والضآلة والهُزال ، وثمة وجه آخر هو أخفى مما أومأنا اليه ؛ وهو السر داخل الخاطر ، والشيء الذي تضمره من العادات ما كان عن تسويف " [١]، وبما أن الغرض من استعمال الضمائر الاختصار، فإن ذلك يتماشى مع المعنى اللغوي الذي هو الخفاء والانكماش . ، "وأضعف الضمائر تعريفاً كناية الغائب ، لأنه يكون كناية عن معرفة ونكرة ، حتى قال بعض النحويين : كناية النكرة نكرة " [٢]. وفي سبرٍ لدلالات الضمير الغائب (ها) ومواطن اتصاله بصيغة جمع القلة (أفعال) حاول الباحثان استظهار الدلالات النفسية اللغوية في هذا التركيب في مبحثين ؛ أحدهما تمثل في دلالات الرجاء والترغيب في إتمام النعمة والفضل في زمن السلام ، والثاني في دلالات التخويف والإفزاع من الأهوال في أزمنة الكوارث والحروب ، وتوصل البحث إلى دلالات مضافة لدلالة البناء أثراها الوجود الصوتي والتركيبي للضمير واتساقه مع بناء الجمع (أفعال) ، وتم كل ذلك في ضوء علم المناسبة في الدرس القرآني . نسأل الله تعالى التوفيق والرشاد .

Abstract

This is the secret within the mind, and the thing which is implied by the customs was not procrastination "and since the purpose of the use of pronouns short it is in line with the linguistic meaning Which is invisibility and deflation. "And weakened the pronouns definition of the meaning of the absent because it is a metaphor for knowledge and denial even said some grammarians: the metaphor of negation is false . The two researchers tried to memorize the linguistic psychological implications of this structure in two subjects: one is the signs of hope and encouragement in the completion of grace and grace in the time of peace and the second in the signs of intimidation and panic of the horrors. The era of disasters and wars and the search reached additional connotations to the significance of the construction influenced by the existence of voice and synthesis of conscience and consistency with the construction of the collection (acts) all in light of the science of the occasion in the Koran lesson. We ask Allaah to grant us success and guidance.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، الناطق بلسان عربي مبين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد. نبحث في صيغة (أفعال) في السياق القرآني ، مضافة إلى الضمير (ها) ، في أيّ المواطن ذكرت ؟ وفي أي المواضع استعملت ؟ ولم اختيرت ؟ ما جاورها ؟ وما اتصل بها ؟ وما دلالتها ؟ وماذا لو سقطت ؟ وماذا لو أضيفت الصيغة إلى الاسم الظاهر ؟ وما أثرها في الدلالة السياقية للنص القرآني ؟ أسئلة تتردد تبحث عن إجابات لنبين أثر البناء اللغوي في الدلالة النفسية السياقية عند إضافة الضمير (ها) لصيغة جمع التكسير (أفعال) منتفعا بما يُتيحه علم المناسبة في النص القرآني ما أمكن لي ذلك .وبعد التوكل على الله تعالى، وتلمُّس مواطن الملابسة بالضمير (ها) ، والفرق بين دلالات الإضافة والتجريد ، في كتب التفسير، واللغة ، والنحو ، والمعاجم ، والمشكل ، والغريب ، نبهنا إلى عدد من الدلالات القصدية السياقية في الصيغة والضمير ، وفي سبرٍ لدلالات الضمير الغائب (ها) ومواطن اتصاله بصيغة جمع القلة (أفعال) وتحول الدلالة معه إلى الكثرة المبالغ فيها عند اتصاله بالضمير حاول الباحثان استظهار الدلالات النفسية اللغوية في هذا التركيب في مبحثين ؛ **أحدهما** تمثل في دلالات المبالغة في الرجاء والترغيب في إتمام النعمة والفضل في زمن السلام ، **والآخر** في المبالغة في دلالات التخويف والإفزاع من الأهوال في أزمنة الكوارث والحروب ، يسبقهما تمهيد موجز عن دلالة الضمير وأثر وجوده في الدلالة الكلامية . وتوصل البحث إلى دلالات مضافة لدلالة البناء أثراها الوجود الصوتي والتركيبي للضمير واتساقه مع بناء الجمع (أفعال) ، وتم كل ذلك في ضوء علم المناسبة في الدرس القرآني . نسأل الله تعالى التوفيق والرشاد . وأن يمدنا بلطفه وهُداه .

تمهيد في دلالة الضمير :

تدور معاني (ضمر) حول الخفاء والضآلة ، فالضُّمُر بضم الضاد والميم أو بإسكان الميم ، هو الهُزال ، لأن ؛ " الضُمر بالضم الهزال ، ولحاق البطن ... والُضُمر من الرجال الضامر البطن ... وتَضمير الخيل أن تُشَدَّ على سروجها ، وتُجَلَّل بالأجِلَّة ، حتى تُعَرَّقَ تحتها فيذهب رهلُها ، وقضيب ضامر ، منضمر وقد انضمر اذا ذهب ماؤه ... والضمير : العنب الذابل " [٣] هذه الأصول والمشتقات ، تميل بمعانيها إلى (الهزال ، وذهاب الرحل ، وذهاب الماء ، والذبول) وكلها تؤدي معنىً واحداً هو الانكماش ، وثمة وجه آخر هو أخفى مما أومأنا اليه ؛ وهو " السر داخل الخاطر ...، والشيء الذي تضمره من العادات ما كان عن تسويف ، والمال الضمار هو الغائب " [٤] ، والضمير ما تُضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه ، وبما أن الغرض من استعمال الضمائر الاختصار، فإنّ ذلك يتماشى مع المعنى

اللغوي الذي هو الخَفاء والانكماش .هذا في اللغة أما الضمير اصطلاحا: فهو (فعيل) بمعنى اسم المفعول ، أي (المضمر) ، وإنما سمي ضميراً، لأنه من ؛ أضمرت الشيء إذا سترته وأخفيته ، وقيل : سمي بذلك لكثرة استتاره [٥]. والضمير من مصطلحات البصريين ، وأما الكوفيون " فيسمونه كناية ومكنياً ، لأنه ليس باسم صريح " . [٦] وهو عند النحاة : ما دلَّ على متكلّم كـ (أنا) ، أو مُخاطَبٍ كـ (أنتَ) ، أو غائبٍ كـ (هوَ) لقد تعرض النحاة للضمير تعريفاً وتوصيفاً ، فسيبويه (١٨٠هـ) ، اجتزأ قائلاً : " وأما الإضمار فنحو: هو وإياه وأنت " [٧]، ونبعد قروناً ، فإذا بابن يعيش (٦٤٣هـ) يصفه بأنه : " اسم كني به عن اسم " [٨]. وعَرَّفه الرضي (٦٨٦هـ) بقوله : " ما وُضع لمتكلم ، أو مخاطب ، أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى ، أو حكماً [٩] . وزاد ابن كمال باشا(٩٤٠هـ) فقال : هو " الاسم المتضمن للإشارة الى المتكلم ، أو المخاطب ، أو الغائب بعد سبق ذكره لفظاً تحقيقاً ، أو معنى ، أو حكماً " [١٠]. واعتذر السيوطي (٩١١هـ) عن التعريف فقال : " ولكونه الفاظاً محصورة بالعدّ استغنينا عن حَدّهِ كما هو اللائق بكل معدود كحروف الجر " [١١] . وليس هذا بالاستقصاء ، لكنه بيانٌ مُعَبِّرٌ . ومع أنّهم ربطوا بين الضمير والاسم العائد إليه ، إلا أنّه اقتضى تقدم المفسِر على الضمير الغائب ؛ " لأنَّه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه ، بل بسبب ما يعود عليه ، فإن ذَكَرته ولم يتقدمه مفسِر بقي مُبهماً منكَّراً لا يعرف المراد به " [١٢] ، إلا لغرض بلاغي يقتضي ذلك ، كما في ضمير الشأن ، وفي البيان بعد الإبهام . إذ ليس من الضرورة أن يكون عائدُ الضمير مذكوراً في الكلام ، فقد يُستدل عليه من المعنى أو من السياق ، أو يعود على بعض ما تقدم ، وذلك من الإيجاز الذي يقوم مقام الإكثار والإظهار . وقويَ إضمار هذا لشهرة الاستعمال فيه ، وللضمائر وظيفة خاصة من أجلها وجدت في الاستعمال اللغوي ، وهذه الوظيفة لخطرها استلزمت بقاء الضمائر ، ودوام استعمالها بدوام اللغة . لقد بين القدماء أنَّ الغرض من استعمال المضمرات هو الإيجاز والاختصار والاحتراز من الإلباس ،" فأما الإيجاز فظاهر ؛ لأنّك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكامله ، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم ، وأما الإلباس ؛ فلإنَّ الاسماء الظاهرة كثيرة الاشتراك ، فاذا قلت : زيد فعل ، جاز أن يتوهم في زيد الثاني أنّه غير الأول ، وليس للأسماء الظاهرة أحوال تفترق بها إذا التبست ، وإنّما يزيل الالتباس منها في كثير من أحوالها الصفات ... والمضمرات لا لَبس فيها ، فاسْتَغْنَتْ عن الصفات ؛ لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بها : حضور المتكلم ، والمخاطب ، والمشاهدة ، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم " [١٣] .أما من جهة التعريف " فأعْرَف المضمرات المتكلِم ، لأنّه لا يُوهِم غيره ثم المخاطب ، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة ، وأضعفها تعريفاً كناية الغائب ، لأنّه يكون كناية عن معرفة ونكرة ، حتى قال بعض النحويين : كناية النكرة نكرة " [١٤] .كذاك اختلفوا في الضمير الراجع إلى النكرة هل هو نكرة أو معرفة ؟ ، فـ " قيل: إنّه نكرة مطلقاً، وقيل:معرفة مطلقاً ، وقيل:إنّ النكرة التي يرجع الضمير إليها ، إمّا أن تكون واجبة التنكير أو جائزته ، والأول كضمير (رُبّ) ونحوه ، وإذا كانت جائزة التنكير كما في قولك : جاءني رجل فأكرمته ، فالضمير معرفة" [١٥] .هذا موجز عن الضمير ودلالاته عند النحاة ، وإذا كان فريق من مفسري القرآن الكريم قد توقف عند توجيهاتٍ محددة في بيانه لدلالات اتصال الضمير(ها) بصيغة (أَفعال) ، فليس هناك ما يمنع من محاولة لإضافة توجيه جديد في أمثلة مستقرأة من القرآن الكريم يُظهِرُ فيها التوسعُ دلالة لم يُشَر إليها في السياق، وتُظهِر هي قصديةً في الخطاب ، وتعييناً ونسبةً . نسأل الله التوفيق والفتح ، إنه سميع مجيب .

المبحث الأول

المبالغة في دلالات الرجاء والترغيب إتماما للنعمة والفضل .

صيغة (أفعال) من صيغ جموع التكسير الدالة على القلة ، " وإذا قُرِن جمع القِلَّة بـ: (أل) التي للاستغراق ، أو أُضِيف إلى ما يدلُّ على الكثرة ، يعني : ما تدلُّ الإضافة إليه على الكثرة وهو المعرفة مفردةً أو جمعاً، لأنَّ الإضافة إلى المعرفة تعمّ ما لم توجد قرينة تخصيص " [١٦] ، وكذا إن أضيف إليها الضمير وهو معرفة دلّت على الكثرة الفائقة ، أما النكرات فهي تدل على العموم فإن أضيف لها اسم أو ضمير دلّت على الخصوص ، ودلالة عموم الإضافة هي الاختصاص أيضاً ، فالإضافة إذن هي اصطفاء القليل من الكثير ، وقد يُوصِل الضمير إلى دلالة الاختصاص مبتعداً بالسياق عن إرادة العموم فينحصر الأمر في فرد واحد من أفراد غير محدودين بعدد . وهذا نجده في كلمة **(أبواب)** في قوله تعالى :{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [البقرة : ١٨٩] إنَّ" إتيان البيوت من ظهورها **كناية** عن العدول عن الطريق الصحيح ، وإتيانها من أبوابها **كناية** عن التمسك بالطريق الصحيح " [١٧] . من هنا ذكروا أنه " يحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم ، وأنّ مَثَلهم فيه كَمَثَل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره ،... – والمراد – أي : وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تُباشر عليها ، ولا تُعَكِّسوا "

[18] .هذا كلام لطيف ، لكننا نناقش من طرفٍ خفي ، ما لم يَظهَر لنا ، ولا كُشِفَ منه سرّ ، ولا رُفع عنه ستر ، فالغاية العظمى تكمن في قوله تعالى :(أبوابها) ، وما أدراك ما أبوابها ؟ .**أسلوب حضٍ وترغيب يحبب للمؤمن سُبُل السؤال القويمة وآدابه ومنافذه اللطيفة في مجتمع مدنيّ مستقرٍ مسالم ، ويبتعد به عن الأساليب الملتوية العقيمة** .تأمّل قليلاً في هذه الكلمة ، وتركيبها العجيب ، بين الاتساع والتخصيص ، تجد السياق نَكّرَ الأبواب وأضافها إلى ضمير الغائب ، ومن المعلوم أنّ التنكير يفيد العموم ، فعمَّ المعلوم وغير المعلوم ، الظاهر وغير الظاهر ، المعروف والمكني ، الحقيقة والمجاز . إذ إنَّ البيوت معلومة معَرَّفة بأل ، لكنّ الأبواب غير معلومة ، ولامعروفة ، وللدلالة على الإتيان الصحيح فإن المراد : أبوابها التي يسمح لكم بدخولها وإتيانها ، وهذه هي دلالة النصّ ؛ لأنّ هناك أبواباً لا يُسمح لكم بدخولها ، وهناك أبوابٌ مغلقة لا يمكن الدخول منها، وهو مفهوم النصّ فأفاد الضمير النسبة ، والتعيين والتخصيص ، ولعلنا ندرك أن للبيت أبواباً منها مداخل للغرباء ، و مداخل للضيوف من الأقارب ، ومنها مداخل للخدم ، وأخرى للغرف ، وغيرها للمطبخ ، وأخرى للنساء ، فهي متعددة ، وهناك خصوصية في دخول كل منها ، والهاء والألف حددتا ما لم يتحدد بأل التعريف ؛ لأنّه لو لم يُرِد التعيين لأتى بالاسم الظاهر ، المعرّف بأل :(الأبواب) ، أو الاسم الظاهر المعرَّف بالإضافة إلى الاسم الظاهر المعرفة ، في نحو : (أبواب البيوت) ، فـ (الأبواب) لا تحديد فيها ، و(أبواب البيوت) فيها عموم مطلق لأن " الجمع إذا عُرِّف بـ (أل) أفاد حينئذٍ العموم والاستغراق ، وكذلك إذا أُضِيف إلى المعرفة حينئذٍ نقول : يفيد العموم " [19]. في حين تبين من إضافة الضمير إرادة التعريف والتحديد لا التنكير ، " وإذا قُرِن جمع القِلَّة بـ: (أل) التي للاستغراق ، أو أُضِيف إلى ما يدلُّ على الكثرة ، يعني: ما تدلُّ الإضافة إليه على الكثرة وهو المعرفة مفردةً أو جمعاً، لأنَّ الإضافة إلى المعرفة تعم ما لم توجد قرينة تخصيص " [20] ، من هنا نجد الضمير أفاد توسعاً وتحديداً في الوقت نفسه ، أما دلالته على التوسع فهو ؛ أنه يحتمل أن لكل بيت باب واحد ، أي : أبواباً للبيوت ، ويحتمل في الوقت نفسه أكثر من باب لكل بيت ، أي : أبواباً للبيت الواحد . وفي قوله تعالى : (أبوابها) الصيغة تحتمل أموراً ، منها أنّ الهاء دلّت مع دلالة المدَّين الطبيعيين لصيغة أفعال ؛ على الاتساع في تنوع الطُرق بتعدد الأبواب ، ومع أنّ هذه الطرق متعددة إلاّ أنّها محددة بالسياق نفسه ، فسار في التخصيص بالضمير إلى الإفهام لا الإبهام ، وإلى التعريف لا التنكير ، وإلى التحديد بالألف عَوداً إلى المؤنث ، فأفاد بـ(أبوابها) الأبواب المعلومة المعهودة للبيوت ، والقضايا المعلومة المعهودة بين الناس ، وأفادَ مشروعية الطرق والوسائل جميعها إنْ ارتبطت بأبواب مخصوصة ؛ إذ المراد أبواباً بعينها ، ففي بيان الجزء الدلالة على توسع الأجزاء وتعددها ، وهي إفادة ضمنية ؛ لأنّ في استعمال الضمير اقتصاداً في النطق ، وهذا يتماشى مع دلالة المجاز والاستعارة المرادَين في هذا الأسلوب ، فكما أنّ التوسع جاء من الإضافة إلى الضمير (ها) ، فإنّ التحديد جاء أيضاً من الإضافة إلى الضمير (ها) . ومن الاتساع أننا نجد في بناء (أبواب) دلالة منتهى العموم والشمول حاضرة في النكرة للدلالة على أفراد غير معدودين ، فصيغة (أفعال)كما يقول النحاة : هي جمع تكسير للدلالة على القلة ما لم تُضَف ؛ فإنها حينئذ تفيد الكثرة ، ومن هنا فإذا كان بناء (بيوت) على فُعول وهو بناء كثرة فكيف تكون الأبواب على جمع القلة ، إذ المعقول أن تكون الأبواب أكثر من البيوت ، فقد يكون للبيت أكثر من باب ، وهذا مسوغ آخر للإضافة إلى الضمير (أبوابها) .ومن الاتساع أن (أبواب البيوت) لم تكن مقصودة لذاتها في سياق النص ، وإلا لَقيل : (ائتوا البيوت من أبواب البيوت) ولشمل الكلام أبواب البيوت كلها ، وزال التخصص ، لكنه أتى بـ (أبواب) مضافةً إلى الضمير للدلالة على التخصيص بأبواب معينة محددة ، سواء أكانت حسية أم معنوية ، معهودة وغير معهودة ، ويدخل في دلالة التخصص حينها أنّ إتيان أية مسالة ينبغي أن يكون من طريق صحيحة ليس فيها مخالفة . **وخالف بين صيغتين فجمع باب على أبواب وجمع ظهر على ظهور** مع كون ظَهْر على بناء **فَعْل** مما يجمع على **أفعُل وأفعال** مثل (قبر ونهر وبيت) فيقال:(قُبور وأقبَار ونُهور وأنهار وبُيوت وأبيات)التزاماً بالقياس النحوي ، وهذه المخالفة مقصودة فهو وافق بين الجمعين في البيوت وظهورها إشارة إلى المُنْكَر من الأفعال وأنه تحصيل حاصل لما تعودوه من أفعال ، وعندما عدَلَ الى دعوتهم لتصحيح سلوكهم عدل أيضا في الصيغة وخالفها فكان مساق الكلام الترغيب والدعوة للسلوك الحسن فهي دعوة للتقوى والفلاح وترغيب في العمل الصالح . فأضاف الضمير (ها) لصيغة أفعال ما لم يضفه لصيغة فعول لأن بيوت وظهور وفعول جمع دلالته المبالغة الكمية وأبيات وأبواب وأفعال جمع دلالته عددية وهو مايسعى إليه النص القرآني في توجيهه الخطاب .ومثلها في قوله تعالى: { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) } [الزمر : ٧١ – ٧٣] والغرض من الخطاب هنا أيضا ترغيب المؤمنين وليس تخويفهم لأن المقطع الأول في

تخويف الكافرين واتعاض المؤمنين من حالهم ، أما المقطع الثاني فهو في ترغيب المؤمنين رجاء للتقوى منهم ومثلما تقدم في سورة البقرة في قوله تعالى : (**من أبوابها**) ، فقد نَكَّر الأبواب هنا وأضاف إليها (ها) للتخصيص ، أي : (ائتوا من أبوابها المخصَّصة)، وفي هذا الموضع قال تعالى :(فُتحت أبوابها) ، أي: أبواب جهنم ، المخصصة للكافرين ، و(**وفُتحت أبوابها**) ، أي : أبواب الجنة ، المخصصة للمتقين . إنّ تنكير الأبواب يدلل على توافر أبوابٍ كثيرة في المَوْقِعَينِ (الجنة و النار) ، أبواباً متعددة منها هذه الأبواب المقصودة المخصوصة التي يُساق إليها الكافر، أو التي يساق إليها المؤمن المتقي، فهناك أبواب للظالمين، وأخرى للمنافقين، وللمشركين ، والطّاغين والمُسرفين والمُطَففين وغيرهم كلّ بصفتهِ ، وفي جهنم منازل ولكلّ منزلة أبوابها على عدد الزُمر، وكذا الجنة جِنانٌ بحسب مراتب أهلها ، ولكلّ جنة أبوابها على عدد الزُمر ، فظهر للمتأمل الفرق الدلالي بين قوله تعالى: (**الأبواب**) ص/٥٠] ، و(**أبوابها**) [البقرة /١٨٩ والزمر/ ٧١]، و(**أبواب جهنم**) [الزمر/٧٢] ، واتّسع المعنى في دلالة (أبوابها) ، فاستعملَ الكفر وهو عموم مطلق في كل مخالفة وستر للحقيقة ، فلمّا اعترفوا بذنوبهم ، وتوزَّعوا تحت مسميات وصفات هي جزيئات تحت ذلك العموم ؛ حقَّت كلمة العذاب عليهم ، فأزال التحديد والتخصيص ، واستبدل الضمير بالاسم الظاهر فقال : (قِيل ادخلوا أبواب جهنم) للدلالة على العموم ، أي: ادخلوا أبواب جهنم مُشرَعةً جميعها من أي باب شئتم ؛ لأنّ الكلام ليس على الجنة أو النار أو الأبواب ، بل هو على فتح الأبواب ، عندما تتهيأ النار لمن سيدخلها ، أي : عندما تحين ساعة الموافاة .إذ ليس في جهنم أبواب مخصصة بفئة دون غيرها . على العكس من ذلك مع أصحاب الجنة من زُمَر المتقين ، إذ " يقول الحق جلّ جلاله : (وسيقَ الذين اتقوا ربهم) مساق إعزاز وتشريف ، بلا إسراع ولا تكليف ، إلى دار الكرامة والتعريف . يُساقون راكبين مبجَّلين ، كما يجيء الوافدون إلى دار الملوك ، يساقون زُمراً متفاوتون ، بحسب تفاوت مراتبهم في الفضل ، وعلو الطبقة ، (حتى إذا جاؤوها وفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طبتم) ،أي :ظَفرتُم ...(فادْخُلوها خالدين) ، وحذفَ الواو في وصف أهل النار؛ لأنّ أبواب جهنم لا تُفتح لهم حتى يَصِلوا إليها ، وفي وقوفهم قبل فتحها مَذَلَّة لهم ، كما هي حال السجون ، بخلاف أهل الجنة ، فإنّهم يجدونها مفتوحة ، قال تعالى : (مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ) [ص : ٥٠], كما هي حال منازل الأفراح والسرور"[٢١]، وأضاف الأبواب إلى الضمير إشارة إلى الاختصاص والنسبة ،أي : لتدخل كل فئة من الباب المخصص لها، وأهل الجنة لا يخافون فهم يعلمون أبوابهم ويتباهون بها ؛لأنها جزء من التكريم ، بخلاف أهل النار الخائفين المتهيبين المترددين من الدخول فلذلك تجد الأبواب كلها مشرعة لهم بلا تحديد . من هنا نفهم دلالة الإجبار في الخوف من دخول المجهول مع الكافرين ، ودلالة الاختيار في الرغبة بدخول المعلوم مع المؤمنين . ومن الاتساع تأمل ألفاظ القرآن في أهل النار:

جاؤوها – فتحت أبوابها – وقال لهم خزنتها – قيل ادخلوا أبواب جهنم

تجد التوافق والتشاكل بتكرار الضمير (ها) مع الكلمات خلا (أبواب جهنم)

أما ألفاظه في أهل الجنة :

جاؤوها – وفتحت أبوابها – وقال لهم خزنتها – سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها

فتجد التوافق والتشاكل اللفظي في السياق القرآني بتكرار استعمال الضمير (ها) في الكلمات كلّها مع مَزيّة إضافة الضمير الرابع في (ادخلوها) ، الأمر الذي حُرِمَ منه الكافرون ؛ فجاء بضمير التحديد والتخصيص ؛ لأنّ المتّقين مخصوصون بها ، فهم تَملَّكوها بتقواهم ، ومنزلتهم مخصوصة ، وأبوابهم معلومة ، يدخلون في الجنة مطمئنين بلا تردد عند الأبواب ، أمّا الكافرون وهم عموم تتدرج تحته فروع كثيرة ، فقد خصَّصها بهم ، وخصَّ بها أبوابها ، وخصَّ بها خزنتها ، ثم عمم عند الدخول بالأبواب كلها من غير تخصيص ؛ لأنهم يهابون الدخول ، ويترددون بين الأبواب محاولة منهم في الفرار، فجاء الرد ؛ قيل ادخلوا أبواب جهنم غير محددين بباب . فتأمل عظمة هذا النص الخالد العظيم . تأمل من الاتساع أيضاً قولَ خَزَنة الجنة لأهلها : أدخلوها ، وقول خزنة النار لأهلها : أدخلوا أبواب جهنم ، مرةً أخرى ، تجد تحته سراً لطيفاً آخر ، ومعنى بديعاً ، لا يخفى على المتأمل ؛ وهو أنّها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء ، وأشدّه حراً ، وأعظمه مما يَستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشدّ منها ، ويدنو من الغمّ والخِزي والحُزن والكَرْب بدخول الأبواب ؛ قيل ادخلوا أبواب جهنم ، فأضاف إلى الاسم صَغاراً لهم وإذلالاً وخزياً ولم يُضِف إلى الضمير كما فعل مع أهل الجنة ، إذ في الإضافة إلى الضمير نوع من المباهاة ، ثم قيل لهم لا يقتصر الأمر معكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده الله لأوليائه ، فَبُشِّروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها . فتأمل قوله سبحانه : (جَنَّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةٌ لهَم الأَبوابُ مُتَّكِئِينَ فيها يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَراب) سورة ص /٥٠ ، كيف تجد تحته معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة

لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي ؛ لأن الله تعالى أراد لهم الطمأنينة فجعلها مفتحة لهم الأبواب ، وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ؛ لإخافتهم ، وإدخال الرعب في قلوبهم ؛ لأنّك إذا أدخلتَ أحداً حجرةً وأغلقتَ عليه بابها وسط ظلام دامس يخاف ويضطرب ، قال تعالى: (إنها عليهم مُؤْصَدَة) الهمزة/ ٨ ، أي : مُطْبَقة ، ومنه سمي الباب وصيداً ، وهي مؤصدة في عَمَدٍ مُمددة ، قد جُعلت العُمُد مُمسكة بـ الأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب [٢٢] . هذا هو الحوار القرآني لإتمام النعمة والفضل في زمن القرار والاستقرار والأمن و السلام .وفي كلمة (**أمثال**) نجد مسار تصويب السلوك الإنساني في المجتمع المسلم بضمن المسار المدني للحياة الطبيعية والمسار السلمي المجتمعي يهيج القرآن الكريم النزعة الطَمعية في النفس الإنسانية طمعا في الاستزادة من فعل الخيرات ، وتبعاً لذلك تغيرت التأويلات للنص القرآني ، فقيل في قوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [الأنعام : ١٦٠] . أي : " له عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها " [٢٣]، أو " له عشر حسنات أمثالها ؛ فحُذِفَتْ الحسنات وأُقيمَت الأمثال التي هي صفتها مقامها ؛ جمع مِثل " [٢٤]، وهذا كلام في غاية الدقة والروعة ، تقديره : عشر حسنات أمثالها في الحسن " ، كمن أهدى إلى سلطان عنقوداً فإنّه يُعطيه ما يليق بسلطَنته ، لا قيمة العنقود " [٢٥] ، ونحن حين نتلمس شيئاً من أسرار البيان القرآني ، ومكنون أسرار اللغة ، ما تُسَرُّ به خواطرنا ، وتُسعَد به قلوبنا ، نتلمس التوسع الذي لاشيء قبله ولا بعده ، توسعاً في العطاء لكريم لا يُدانيه في الكرم أحد . إذ لم يَرِد السياق (بعشرِ مِثلها) ولا (عَشرٌ أمثالَها) بل (عَشرُ أمثالها) ، وهذا هو التوسع العددي غير المتناهي بعينه. عشر مراتٍ من أمثالها ، أمثال غير محدودة ولا معدود . فإذا كانت الأمثال ألف مثل كان له عشرة آلاف مثل ، وبما أن الأمثال غير محددة فالعدد الكلي لا حدود له أيضاً ، وسيكون له عشر مرات مليارات وبلايين الأمثال ، وبما أن الأمثال غير محددة فهذا يعني أن مضاعف العَشَرة رقم لا ينتهي أمام حسنةٍ واحدة ، فسبحان رب العرش عما يصفون . إن إلصاق الضمير (ها) بصيغة أفعال يظهر حُسناً آخر في هذا السياق ، فهو يحثُّ على العناية بالحسنة كماً ونوعاً ؛ لأن فخامة المكافأة مرتبطة بفخامة الحسنة ، وهذا من التوسع في قوله (أمثالها) فإن زاد العبد ، زاد الرّب ، وإن عاد العبد ، عاد الرّب ، وليس لأحدٍ بعد هذا أن يقول : إن صيغة أفعال اختصت بجمع القلة ، ويطلق الكلام إطلاقاً للكلام من غير قيود ، بعد أن تبين أثر هذه الإضافات والملحقات ومقام الحال وعلم المناسبة والتناسب في دلالة الألفاظ والسياق . **مثل ذاك الأمر في كلمة (ألوان) فـ** " الألوان : جمع لون . وهو كيفية لسطوح الأجسام مدركة بالبصر تنشأ من امتزاج بعض العناصر بالسطح بأصل الخِلقة أو بصبغها بعنصر ذي لون معروف ، وتنشأ من اختلاط عنصرين فأكثر ألوان غير متناهية ... ونِيط الاستدلال باختلاف الألوان بوصف التذكر ؛ لأنه استدلال يحصل بمجرد تذكر الألوان المختلفة إذ هي مشهورة " [٢٦]. هكذا قال ابن عاشور في قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر : ٢٧ ، ٢٨] ." والظاهر أن الألوان أريد بها ما يتبادر إليه الذهن من الحمرة والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك ،أي اللون الذهني وليس اللون الحسي المحدد ، والألوان بهذا المعنى أوسع وأكثر من الألوان بمعنى الأصباغ ...، إنّ تخصيص الفعل بهيئته وألوانه من أدلة قصد الفاعل وبرهانه . فإتقان الفعل وإحكامه شواهد الصنع وإعلامه . وكذلك أيضاً الناس والدواب والأنعام ، بل جميع المخلوقات، متجانس الأعيان، مختلف الصفات ، وهو دليل ثبوت مُنشئها بنعت الجلال " [٢٧] وقيل : " يحتمل معنيين ، أحدهما : أنَّ البياضَ والحمرةَ يتفاوتان بالشدة والضعفِ فرُبَّ أبيضَ أشدُّ من أبيضَ ، وأحمرَ أشدُّ مِنْ أحمرَ ، فنفسُ البياضِ مختلفٌ ، وكذلك الحمرةُ ، فلذلك جَمَع ألوانها ، فيكونُ من باب المُشَكَّل . الثاني : أن الجُدَدَ كلَّها على لونين : بياضٍ وحُمْرَةٍ ، فالبياضُ والحُمْرَةُ وإنْ كانا لونَيْن إلاّ أنهما جُمِعا باعتبارِ مَحالِّهما " [٢٨] ، وهذا من الاتساع .ومن الاتساع أنّ السياق يحتمل ألوان الثمرات المختلفة ، وربما ألوان مختلفةٌ من الثمرات . وبما أن الكلام على الألوان فقد أخفى الثمرات وكنَّى بالضمير، صحيح أن الثمرات متنوعة وهذا رائعٌ ، لكن الأروع إنما هو في اختلاف الألوان ، والقوة في تنوعها ، وتعددها ، ووجود الضمير زاد السياق قوة لفظية ، وقوة معنوية في إشارة إلى تفرد الألوان وغلبتها ، من هنا تتسع دلالة الألوان متعددة في كل صنف من أصناف الثمرات ، إذ لا تتشابه ألوان الصنف الواحد ، ولا النوع الواحد ، وإن كان في شجرة واحدة . وكذا الأمر مع الجبال مختلف ألوان الأبيض ، مختلف ألوان الأحمر ، أما الناس والدواب والأنعام ، فهي مختلف ألوان كل صنف بأجزائه وجزيئاته ، في كل فرد، جينات وخلايا متنوعة متلونة مختلفة لاتتشابه وإن اقترب الشبه إلا أن التدقيق والتمحيص يُظهر فرقاً ، ويُظهر تنوعاً ، ويُظهر اختلافا ، وصبغات لونية . لذا غيَّر الصيغة وغيَّر الضمير ، إنه توسعٌ عددي في الدلالة لا حدود له ، تأتى من دلالة الضمير على جزيئات الأجزاء، وهو ما ينبه عليه العلم الحديث من أنّ عدد ألوان عاكسات اجهزة التلفزيون وأجهزة الاتصالات الذكية والهواتف النقالة ؛ تفوق قدرتها كذا

مليون لون . فسبحان رب العرش عما يصفون . في هذا السياق الهدف واضح دعوة واضحة بينة للتأمل في خلق الله تعالى وقدرته عن طريق العلم في زمن السلم : إنما يخشى الله من عباده العلماء .تصحيح مسار العلم عن الانحراف بتغليب خشية الله تعالى عن طريق استنباط العلم وعن طريق نشر العلم وعن طريق الانتفاع بالعلم هذا هو طريق بناء المجتمع السليم القويم .لم نجد من المفسرين من توقف عند ألالفاظ (**أصوافها** ، **وأوبارها** ، **وأشعارها**) ، ناظراً إلى الصيغة (أفعال) أو إضافة الضمير (ها) إليها ، في قوله تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [النحل : ٨٠]فما دلالة الصيغة ؟ وما دلالة الإضافة في هذه الآية المباركة ؟ وما الفرق لو قال :(أصواف الأنعام ، وأوبار الإبل ، وأشعار الماعز) ، أو قال : (الأصواف ، والأوبار ، والأشعار) ؟ عندها نتوقف لإدراك المراد ، وهو بيان طبيعة الانتفاع من الأنعام ،(من جلودها وأصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها) لقد توسع في السياق ليشمل الأنعام ، ويشمل ما يُنتفع به منها ، ويشمل الانتفاع ، ويشمل الأنواع ، فصار المراد من هذا السياق الاتساع في هذه الأمور جمعاء ، فأصوافها وأوبارها وأشعارها ، ليست نوعاً واحداً ، ولا لوناً واحداً ، ولا جنساً واحداً ، ولا تتوافق رِقةً ، ولا غِلظةً ، ولا خشونةً ، ولا نعومةً ، ولا تسرُّحاً ولا تجعيداً ، ولا قِصَراً ، ولا طُولاً، ولا قوّةً ، ولا ضَعفاً ، ولا دِفئاً ، ولا حِمايةً ، ولا ثَباتاً ، ولا تساقطاً، ولا صَنعةً ، ولا خِفّةً ، ولا ثِقَلاً ، ولا زَهاءً ، ولا جمالاً ، ولا بهاءً ، ولا قُبحاً ، ولَا صِحَّة ، ولا إمراضاً ، ولا توافقاً مع بيئةٍ خِلافَ غيرها ، ولا لأنثى مثلما للذكر ، ولا لصغيرة مثلما للكبيرة ، ولا للسمينة مثلما للهزيلة ، ولا لبنت الجبل مثلما لبنت السهل والوادي . هكذا تتنوع إلى أنواعٍ لا يحدّها حدّ ، ولا يضبطها ضابط . هذا من جهة التوسع في الدلالة . أضف إلى هذا أن إضافة هذه الألفاظ إلى الضمير دلت على أنواع غير معدودة ولا محدودة ، مخصوصة ومناسبة لأجناس بني البشر كل على حَسب ذوقه وعادته ومراده وبيئته ، وعدل أيضا عن صيغة فعول (بيوت) إلى صيغة (أفعال) في أصواف وأوبار وأشعار كما فعل في أبواب سعياً للتفخيم والتعظيم ، لغاية هي تذكير الإنسان بفضل الله ونعمته منذ بداية السورة ودعوة له لشكر النعم وعدم انكار الفضل والعطاء رعاية وعناية بهذه النعم وحفظاً للحياة المدنية في زمن السلام ، قال تعالى : (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) النحل/٤ .فتأمل ملياً في هذا الكلام، فإن تحته أسراراً عجيبة لمن فتح الله له .

المبحث الثاني

المبالغة في دلالات التخويف والإفزاع من الأهوال والكوارث

يتغير الخطاب وتتغير الألفاظ والكلمات لكن عامل التفخيم والمبالغة يبقى مع الصيغة والضمير في سياقٍ يوحي بدلالات التخويف والإفزاع من الأهوال والكوارث فنجد ذلك في آيات تحذير الكافرين ومن ذاك :دلالة المجاز في **إضافة الضمير (ها) لكلمة (أدبار)** فالسياق القرآني نَكَّرَ جمع التكسير (أدبار) ، للدلالة على الإبهام والعموم ، ثم أضاف الجمع إلى ضمير الغائب المؤنث (ها) للدلالة على النسبة والتخصيص ، فلما تداعى العموم والخصوص بانَ التوسع في دلالة السياق ، فدلت (أدبارها) على الأدبار حقيقةً ، **وعلى أدبار الوجوه كنايةً** ، وأدبار الذين أوتوا الكتاب **مجازاً على الكناية** ، في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ } [النساء : ٤٧] لقد **قيل** في (نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها) أقوال ، أشهرها : " أن نَطمِسَ وجوهاً ، أي : نمحو تخطيط صورها من عينٍ وحاجبٍ وأنفٍ وفمٍ ، فَنَرِدّها على أدبارها، فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها [٢٩]. **وقيل** : نجعل عيونها في أقفائها حتى تمشي القهقرى . ، **وقيل** : نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها ، أي : في ضَلالها ذمّاً لها بأنها لا تصلح أبداً [٣٠] ، **وقيل** : " يطلق الطمس مجازا على إبطال خصائص الشيء المألوفة منه. ومنه طمس القلوب ، أي : إبطال آثار التمييز والمعرفة منها . [٣١]، **وقيل** : تنكيس الرؤوس إلى الوراء ، وإن كان الطمس هنا مجازا وهو الظاهر، فهو وعيد بزوال وجاهة اليهود في بلاد العرب ، ورميهم بالمذلة بعد أن كانوا هناك أَعِزَّة ذوِي مال وعدّة ، فقد كان منهم السموأل قبل البعثة ، ومنهم أبو رافع تاجر أهل الحجاز، ومنهم كعب بن الأشرف، سيد جهته في عصر الهجرة [٣٢] ، ويحتمل أن يكون مجازا بمعنى القهقرى ، أي: إصارتهم إلى بئس المصير؛ ويحتمل أن يكون حقيقةً ، وهو رَدُّهم من حيث أَتَوا ، أو إجلاؤهم من بلاد العرب إلى الشام [٣٣] . فتأَمَّل كيف نسبَ السياق القرآني (الأدبار) إلى (الوجوه) ؛ لأنّنا لو نسبنا الوجوه إلى الأدبار ؛ فالوجوه لا أَدبار لها ظاهراً ، وكذا الأدبار لا وجوه لها ، لذا خصَّص النصّ الأدبار بالضمير؛ ليحتمل أدبار الأجسام التي تحمل الوجوه ، أي : ترتدّ الوجوه فتنظر إلى الأدبار فيكون الرأس بالمعكوس ، فيسير الإنسان مُدبراً يحسب أنه يسير مقبلاً ، وهذا من سوء الفأل ، وهو أن يسير المرء على عكس ما يخطط . وفيه إشارة إلى أن الإنسان يمكن أن يُعاكسَ في سيره الطريق الصواب ، ويخالفه فيسير عكس الاتجاه نحو الهاوية. ومن

الممكن أن يكون **كناية عن إلغاء الحواس** فهم صُمٌّ بُكمٌ عُميٌّ ، وقد وُصِفوا بهذا الوصف في سورة البقرة {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة : ١٨] ، فلما جاء بالضمير وافق الأمر المتكَلّم عليه الذي فيه خفاء واحتمال وجوه حتى يذهبوا فيه كل مذهب تتوسع فيه الدلالة ، فتوسع في الاحتمال ، **وخصص في الكناية** ليخصص كل صنف مايناسبه والله تعالى أعلم .**أما إضافة الضمير (ها) لكلمة (أنباء)** في قوله تعالى: {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} [الأعراف : ١٠١] ، **فهي مبالغة في التحذير** من أنبائها ، أي " بعض أخبارها ، ولها أنباء غيرها لا نقصها عليك " [٣٤]. قال الزمخشري : " فإن قلت : ما معنى الإخبار عن القرى بنقصّ عليك من أنبائها ؟ قلت : معناه : أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك " [٣٥] ، " وتصديرُ الكلام بذكر القرى وإضافةُ الأنباء إليها مع أن المقصوصَ أنباءُ أهلِها والمقصودُ بيانُ أحوالهم حسبما يُعرب عنه قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات) لما أن حكايةَ هلاكِهم بالمرةِ على وجه الاستئصالِ بحيث يشمل أماكنَهم أيضاً بالخسف بها والرجفةِ وبقائِها خاويةً معطلةً أهولُ وأفظعُ "[٣٦] ، **وهو مجاز علاقته المكانية .مثل قوله تعالى: (واسأل القرية) أي أهل القرية** . قال ابن عاشور : " (من) تبعيضية ؛ لأنّ لها أنباء غير ما ذُكر هنا مما ذكر بعضه في آيات أخرى، وطُوِي ذكر بعضه لعدم الحاجة إليه في التبليغ ؛ لأنّه إنما قصّ عليه السلام ما فيه عِظة وزجر . والمراد بالقرى وضمير أنبائها : أهلها. كما دل عليه الضمير في قوله: (رُسُلُهُمْ) "[٣٧]. ويبدو التوسع ، وتبدو قصدية السياق من إضافة أنباء إلى الضمير(ها) ، وهذا واضح من السياق ، فلو قال أنباء القرى ، لاختص الأمر بالقرى ، لكن مع الضمير يحتمل أنباء أهلها ، وأنباء تكذيبهم ، وأنباء رُسُلِها ، وأنباء القرى ، وأنباء أنهارها ، وجبالها ، وسهولها وغير ذلك ، وإنما أضاف الأنباء إلى الضمير للإشارة إلى ما آل إليه حالهم وحال قراهم من خراب ودمار وخسف وإغراق وريح ، بسبب التكذيب ففي الضمير توسع في الدلالة يوحي بتوسع الأحداث ، وتعددها ، وتنوّعها ، وبالضمن يدلّ على التخصص بأنباءٍ دون غيرها ، دلّت عليها الإضافة إلى موجود معلوم ؛ لخفاء مجهولٍ غير موجود ، أكّدت وجوده من التبعيضية ، والله تعالى أعلم .وتشتد المواجهة في **إضافة الضمير(ها) لكلمة (أقوات)** في قوله تعالى:" {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}[فصلت:٩ ، ١٠] . إذ قدّر ذلك على قدر مسائلهم ، أي يعلم أنه لا يكون من مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل أن يكون ، وقدر فيها أقواتها سواء لسائليها على ما بهم إليه الحاجة ، وعلى ما يصلحهم [٣٨] . وفيها أقوال للمفسرين منها :

أ- أرزاق ساكنيها ومعايشهم ، وأضافهما إلى الأرض من حيث هي فيها وعنها برزت .

ب- أقواتها من الجبال والأنهار والأشجار والصخور والمعادن ، والأشياء التي بها قوام الأرض ومصالحها .

ت- أقواتها من المطر والمياه .

ث- خصائصها التي قسّمها في البلاد مما خص به كل إقليم ، فيحتاج بعضها إلى بعض في التقوّت من الملابس والمطاعم والنبات [٣٩]

مما تقدم نعلم أنه تعالى خلق في الأرض القوى التي تنشأ منها الأقوات ، وخلق أصول أجناس الأقوات وأنواعها من الحب للحبوب ، والكلأ والكمأة ، والنوَى للثمار ، والحرارة التي يتأثر بها تولد الحيوان من الدواب والطير ، وما يتولد منه الحيتان ودواب البحار والأنهار. ومن التقدير: تقدير كل نوع بما يصلح له من الأوقات من حر أو برد أو اعتدال . إنَّ جمع الأقوات مضافاً إلى ضمير الأرض يفيد العموم ، أي : جميع أقواتها وعمومه ، باعتبار تعدد المقتاتين ، فللدواب أقوات ، وللطير أقوات ، وللوحوش أقوات ، وللزواحف أقوات ، وللحشرات أقوات ، وجعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها كما أفاده قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة : ٢٩] [٤٠]، ومما تولّد منها أيضاً ، إذ يتولّد من الحشائش والنبات أصناف كثيرة ويتولّد من الحشرات ودواب الأرض أصناف كثيرة ، ومن قوت الإنسان ما يقتات على القوت الموجود ، فصارت أقوات من أقوات ، إذ النبات يقتات والدواب تقتات والإنسان يقتات من كلّ ما يقتات ، فهي أقوات غير محدودة وغير معدودة وغير منظورة ، وعلى هذا فالأقوات للأرض ولِما فيها ، والمعنى أنّ الله عزَّ وجلَّ قدر لكل أرض حظَّها من المطر .

وقيل: المراد من إضافة القُوت إلى الأرض كونها متولدة في تلك الأرض وحادثة فيها؛ لأنّ النحاة قالوا :في حُسن الإضافة أدنى سبب، فالشيء قد يضاف إلى فاعله تارة ، وإلى محله أخرى ، فقوله تعالى:(وقدَّر فيها أقواتها)، أي : قدَّر الأقوات التي يختص حدوثها بها ؛ وذلك لأنّه تعالى جعل كل بلدة معدناً لنوع آخر من الأشياء المطلوبة بمعنى أنّ أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في ذلك البلد وبالعكس فصار هذا المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال[٤١]. من هنا يبدو أنّ الكلام على أقوات الأرض ، كلّ الأرض بما فيها ، وليس أقوات الإنسان فقط ؛ لأنّ للأرض أقواتاً متعددة ؛ منها ما يصلح أن يكون قوتاً لنا ، ومنها لا يصلح ، ففي قولنا : (أقوات

الأرض) دلالة على أنّ المنفعة للأرض ، أي : هي المستفيد منها ، وفي قولنا : (الأقوات) يشمل الأقوات المعلومة فقط ، لكن (أقواتها) فيه توسع في الدلالة ليشمل الجميع ؛ القوت المعلوم وغير المعلوم ، المودع فيها لها ولغيرها ، أضف الى ذلك أن فيه إشارة الى أقوات المخلوقات والناس جميعا ، فهذه السعة في الدلالة مؤداها من الضمير ، وفي السياق تشاكل بين قوله : (أَنْدَادًا) و (أَيَّامٍ) و(أقواتها) ، لكن انمازت الأخيرة باتصال الضمير (ها) ، وفي خلاف ما ورد تتلاشى هذه الدلالة ، فاتسع التحذير واشتدَّ التهديد للكافرين وازداد التحدي .

وفي ذات الشأن وفضح المنافقين والكافرين تبدو إطلالة الضمير والصيغة في تهويل الموقف مع كلمة (**أقطار**) **في** قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا } [الأحزاب : ١٣ ، ١٤] ففي باب التحذير من هجوم العدو وردت (أقطار) مضافة إلى الضمير (ها) ، و" الأقطار: جمع قُطر – بضم القاف وسكون الطاء – وهو الناحية من المكان . وإضافة (أقطار) وهو جمع يفيد العموم ، أي: من جوانب المدينة جميعها ، وذلك أشد هجوم العدو على المدينة كقوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} [الأحزاب: ١٠]. وأسند فعل {دُخِلَتْ} إلى المجهول ؛ لظهور أنّ فاعل الدخول قوم غزاة ... والضمير المستتر في {دُخِلَتْ} عائد على المدينة ؛ لأنّ إضافة الأقطار يناسب المدن والمواطن ولا يناسب البيوت... فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد الخبث والفساد " [٤٢]، ويظهر من السياق للناظر أنّ إضافة أقطار إلى المدينة يخصصها بالمدينة ، أي : ولو دُخِلَت عليهم من أقطار المدينة ، وتعريفها بأل ظاهره أنَّ المراد التخصيص بالأقطار ، أي : لو دُخِلَت عليهم من الأقطار ، أما تعريفها بالضمير (أقطارها) ففيه العموم ، وفيه الخصوص ، وتبدو فيه دلالة الاتساع ظاهرة ؛ لأنه يشمل أقطار الأرض ، وأقطار المدينة ، وأقطار بيوتهم ، وأقطار قلوبهم ، فالسياق يحتمل كل واحد من هذه الأمور بدليل قوله تعالى في سورة الرحمن: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣] ، فحدد ، ولم يذكر الضمير بل ذكر الاسم الظاهر الذي يدل على استغراق الإضافة للمنسوب إليه ، فصيغة (أفعال) هي التي أفادت توسعاً إضافياً في الدلالة ، وجاء هذا التوسع في لفظة (أقطار) التي شمِلت ما تقدم من المعاني كلّها ، وهذا النوع من التوسع يسمى التوسع في (اللفظ) ، أمّا الاضافة للضمير فتفيد توسعاً إضافياً في الدلالة ، وتفيد التخصيص في تحديد تلك الدلالة ؛ لأنّ المراد بالأقطار دواخل المدن ومراكزها ومحاورها الرئيسة ، ودواخل البيوت ومُستقر الطمأنينة فيها ، ودواخل نفوسهم وقلوبهم ومواطن الارتجاف فيها ، فصارت هذه المواطن كلها موطن الخلل ومدعاة للفزع ، وتعددت عوامل الغزو بين غزو مادي بالجيوش ، وغزوٍ معنوي يصيب النفوس ، فصار الضمير دليل التوسع في الحدث ودليل التوسع في المكان ، وبانَ الفضل في استعماله ، والله تعالى أعلم . **وحين تكلم تعالى عن طبع القلوب وهو نوع من الأقفال التي يقفل بها تعالى على قلوب الكافرين والضالين فصّل في أنواع الأقفال** في قوله جل فب عُلاه : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }[محمد : ٢٤] . فأضاف الضمير إلى كلمة (**أقفال**) قيل : في دلالة السياق أنها **استعارة** للذين ذهب منهم الإيمان ، وأم منقطعة بمعنى بل ، والهمزة للتقرير ، ولا يستحيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل إليها ذكر ، ولم يحتج إلى تعريف القلوب؛ لأنه معلوم أنها قلوب من ذُكِر ، ولا حاجة إلى تقدير صفة محذوفة ، أي أم على قلوب أقفالها قاسية ، وأضاف الأقفال إليها ، أي الأقفال المختصة ، أو هي أقفال الكفر التي استغلقت ، فلا تفتح[٤٣].زز فإن قلت : لِمَ نُكِّرَتْ القلوب وأضيفت الأقفال إليها . قلتُ : أما التنكير ففيه وجهان : أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك ، **وهذا** لتهويل حالها ، وتفظيع شأنها ، بإبهام أمرها في الفساد والجهالة ، كأنه قيل : قلوب مُنكرة لا يُعرف حالها ، ولا يُقادر قدرُها في القسوة. أو يراد على بعض القلوب : وهي قلوب المنافقين .[٤٤] ، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على اختصاصها بها ، ومناسبتها لها ، غير مجانِسَةٍ لسائر الأقفال المعهودة .[٤٥]" لقد أقفَل الحقُّ على قلوب الكفار ، فلا يدخلها زواجر التنبيه ، ولا تنبسط عليها شعاعُ العلم ، ولا يحصل فيهم الخطابُ ، والبابُ إذا كان مُقفلاً ، فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج ما فيه، كذلك هي قلوب الكفار مقفلة ؛ فلا الكفر الذي فيها يخرج ، ولا الإيمان الذي يُدعَوْن إليه يدخل في قلوبهم . وفي الحديث : (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له قُفل قلبه ، وجعل فيه اليقين) " [٤٦] ، وكل هذا من الاتساع في المعنى .**وقيل** : إن " تنكير (قلوب) للتنويع أو التبعيض ، والمعنى : بل بعض القلوب عليها أقفال . وهذا من التعريض بأن قلوبهم من هذا النوع ؛ لأنّ إثبات هذا النوع من القلوب في أثناء التعجيب مع عدم تدبر هؤلاء القرآن ، يدل بدلالة الالتزام أن قلوب هؤلاء من هذا النوع من القلوب ذوات الأقفال ، فكون قلوبهم من هذا النوع مستفاد من الإضراب الانتقالي في حكاية أحوالهم ، ... وإضافة (أقفال) إلى ضمير(قلوب) نظمٌ بديع أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب ، أي ملازمتها لها فدل على أنها قاسية " [٤٧] . وهذا أيضاً من الاتساع في المعنى . ثمّ " تأمل تنكير القلب وتعريف الأقفال فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ،

وهذا من الاتساع ، ولو قال : (أم على القلوب أقفالها)، لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة ، وفي قوله : (أقفالها) بالتعريف نوع تأكيد ، فإنه لو قال (أقفال) ؛ لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب عُلِمَ أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب ، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها " [48] ويدلل على هذا التخصيص أن القرآن الكريم عالج أمراض قلوب الكافرين بأقفالٍ مُعَدَّةٍ لها ، فكان العلاج أقفالاً لقلوبهم كلّ بحسب نوعه عقوبة لهم ، ذكر منها :

١ – **الزَّيْغ** {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف : ٥]

٢ – **صَرْف القلوب** {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [التوبة : ١٢٧

٣ –**مَرَض القلوب**{ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ }[البقرة : ١٠]

٤– **قسوة القلوب** {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ [المائدة : ١٣]

٥ – **جعل الأكنَّة على القلوب** {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف : ٥٧]

٦ – **الختم على القلوب** {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ }[البقرة : ٧]

٧ – **قَفْل القلوب**{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد : ٢٤]

٨ – **الرَيْن على القلوب** {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : ١٤]

٩ – **الطَبْع على القلوب** ، في أربعة مواضع :

أ– { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد : ١٦]

ب–{ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}[الأعراف : ١٠٠]

ت–{ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة : ٩٣]

ث–{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } [النحل : ١٠٨]

لنتأمل في قوله تعالى : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد : ٢٤] فقد نَكَّرَ القلوب والاقفال وأضاف الأقفال إلى الضمير توسعاً في الدلالة ، ثمّ عرَّفها بما يخصصها ، ففي قولنا : (أم على قلوبهم الأقفال ؟) الكلام على الأقفال المعلومة فقط ، وفي قولنا :(أم على قلوبهم أقفال القلوب) الكلام على القلوب ، وفي قولنا : (أَم على قلوبٍ أقفال القلوب) أو(أقفال تلك القلوب) ، الكلام على القلوب كلّها بدلالة التنكير في قلوبٍ الأولى ، والتنكير يفيد التنويع ، فالقلوب متنوعة ، منها هذه القلوب التي عليها الأقفال ، ومنها قلوب غيرها ، أمّا في قوله تعالى :(أقفالها) فالكلام على الأقفال ، وهذا يعني أقفالاً مختصّة بها ليست كأقفال الذنوب أو الكبائر أو غيرها مما تقدم ، إذ لكل فئة أقفال تختص بها بحسب ما تقتضيه حكمة الله تعالى ، وقد تحددت أقفال هذا النوع بإضافة الضمير ؛ لأنّه كناية عن شيء معهود بالنسبة ، وليس بالاستغراق الذي يناسبه مجيء الأسم ، وفيه أيضاً الكلام على عملية القفل ، أي القلوب التي أُقفِلَتْ ، وهذا التوسع مُتَأَتٍّ من دلالة التخصيص بالضمير بعد اضافة النكرة ، ذلك أن القلوب لكل منها قفل بحسب حالته ونوعه وذنبه ومعصيته ، ولقد دلّ السياق على نوعٍ واحدٍ بالقصد ، ودلّ على الأنواع الأخرى بالتَّرك ، والقصد هنا يتحقق بأقفال عدم تدبر القرآن من الملعونين الذين أَصَمَّهم الله وأعمى أبصارهم من أهل النفاق . بدليل ذكره تعالى أنواعاً أُخَر من الأقفال ، وقد تقدمت .يتحقق أيضاً في هذا النص ما أشير إليه في الآيتين السابقتين وهو أن القلوب جمع كثرة على (فعول) والأقفال جمع قلة على (أفعال) ، لكن إضافة الأقفال إلى القلوب دلت على الكثرة العددية ؛ لأن المحتمل أن تكون الأقفال أكثر من القلوب ، فقد يكون لكل قلب أكثر من قفل . كل هذا التخويف تفزيع من الغفلة عن تدبر القرآن والتمثل بسلوكه وتوجيهاته في سورة بدأت بقوله تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) /٢ ، ثم (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ...) /٣ ، ثم (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ..) /٤ . ثم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)/٢٢ ، ثم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) /٢٤ .وانتهت بقوله تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) / ٣٤ .**ننتقل الآن إلى ذكر الساعة وقيامتها** ونستعرض المشهد في قوله تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [الرعد : ٤١]

هذه الآية وردت في سورة ابتدأت **بالتحذير** : (المر تلك آيات الكتاب والذي أُنزل إليك من ربك الحقُّ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) /١ ، ثم عَدَلَتْ **إلى الدعوة للإيمان بالبعث** (...يُدبر الأمر يُفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) /٢ . ثم **خوَّفت من نتائج إنكار البعث** (وإن

تعجب فعجبٌ قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلقٍ جديد ...)/٥ ، **ثم التهديد العنيف لمنكريه** (ولا يزال الذين كفروا تُصيبهم بما فعلوا قارعةٌ ...) **ثم بيان حال البشر الى أن تقوم الساعة وهم يرون أهوالا جيلا بعد جيل ولا يتعظون** مما يصيب أرضهم بل يكابرون (أولم يروا أنا نأتي الأرض ...) /٤١ . كل هذا استوجب الإتيان بصيغة المستقبل **(يروا) و(نأتي) (ننقصها)** سياق التغيير المستمر .في أطراف الأرض جميعها بلا عدد ولا إحصاء ولا بيان ولا تحديد . إنه شمول وعموم مطلق مخيف يستغرق كل شيء . إنه إعجاز بلغة عنيفة دالّ على عنف العقوبة المتوقعة في واقع الصراع المستمر والمواجهات المستمرة ، وفيه تحذير مخيف مما سيحل ببني البشر من كوارث ، وهو ما سيبين إن شاء الله . و للمفسرين في أطرافها أربعة تأويلات هي :

أ – الفتوح على المسلمين من بلاد المشركين ، قاله ابن عباس والحسن البصري وقتادة .

ب – خراب الأرض بعد العمارة ، قاله مجاهد .

جـ – نقصان بركتها وتمحيق ثمرتها ، قاله الكلبي والشعبي .

د – موت فقهائها وخيارها ، قاله ابن عباس [٤٩] .

وعقّبَ ابن عاشور على الآية فقال : " أي : أعجبوا من عدم اهتدائهم إلى نقصان أرضهم من أطرافها ، وأن ذلك من صنع الله تعالى بتوجيه عناية خاصة ، لكونه غير جارٍ على مقتضى الغالب المعتاد ، فمن تأمل عَلِمَ أنه من عجيب صنع الله تعالى . وإن كان المراد أرضا من الدنيا ، أي مصيرها بيد عباد الله الصالحين كانت هذه الآية مسوقة لوعد المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى ، وهي أرض مكة وما حولها ، فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا بعد بشارتهم بحسن مآلهم في الآخرة "[٥٠].كل هذه التوجيهات غير مستوفية لما يقع وسيقع من أهوال . إن سياق الجملة الفعلية يوحي بإمكانية الإكتفاء بالمفعول به من غير ذكر الجار والمجرور – أطرافها –لكن النص القرآني أكّدَ ذكر الأطراف ، وفي ذاك إشارةٌ إلى أنّ النقص يصيب أطراف الأرض ، فالكلام على أطراف الأرض لا على الأرض ، في عملية نقص الحواشي والجهات ، أي : تُنقص الأطراف لا تُنقص الأرض ، أو ننقص الأرض نبدأ من أطرافها ، أو ننقص أطراف الأرض اليابسة ، أو ننقص أطراف الكرة الأرضية بما فيها اليابس والماء ، فهي تتناقص وتضمحل ، فالكلام يحتمل كل الأرض ، ويحتمل جزءاً من الأرض ، وذلك هو مدلول الضمير. فلولا الضمير لاحتمل معنىً واحداً فقط ، وهو كل أطراف الأرض ، والأرض ليس فيها طرف ؛ لأنها كروية ، لكن الأطراف فيها أطراف اليابس مع الماء ، وربما يشير ذلك إلى أنّ البحار ستلتهم اليابسة ، أو أنّ الكرة الأرضية تتطاير أطرافها وتتناثر وتصغر حتى تنتهي وتفنى ، من هنا صار النقص في الكل وفي الجزء دليل التوسع في الأحداث وليس الحدث الواحد ، وبانت قصدية السياق ظاهرة ، في تعدّد الأطراف واستغراقها من جهة ، وفي الاختصاص بأطرافٍ دون غيرها من جهةٍ أخرى .

ومن دلالات المبالغة في عواقب قيام الساعة مثلاً ، إضافة الضمير(ها) لكلمة **(أكمام)** في قوله تعالى : {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} [فصلت : ٤٧] الكلام عن البعث والنشور وأهوال يوم القيامة واستغراق الكل حين تقوم الساعة ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهّار .ضمير (أكمامها) راجع إلى الثمرات ، والأكمام : جمع كِمّ ،بكسر الكاف وتشديد الميم ،وهو وعاء الثمر ، وهو الجف الذي يخرج من النخلة محتويا على طلع الثمر[٥١]. فالأكمام : هي وعاء الزهر وطلعه الذي تتولد عنه الثمرات ، ودلالة السياق على الاستغراق والعموم بادية في أكثر من أداة (ما الموصولة الدالة على الشمول ، ومِن المستغرقة للجنس ، ودلالة السياق على الاتساع والشمول والاستغراق بدلالة نفي الضدّ بقوله تعالى : (وما تحمل من أنثى ولا تضع) ، يضاف إليها دلالة الضمير(ها) للمبالغة في الاستقصاء ، والاتساع العددي ، كل ذلك يوحي بالشمول والكثرة التي لا يُحصيها إلا خالقها ، ولو أن السياق تغير فكان (وما تخرج من ثمراتٍ من أكمام الثمرات) لكان تعريف الثمرات محدّداً عددياً ، ويكون خصَّ الأكمام بالثمرات المعلومة عند الإضافة اليها ، فلمّا كانت الثمرات نكرة فإنها شملت كل أنواع الأكمام لكل أنواع الثمرات ، وشمِلَت مليارات وبليارات حبات الطلع الموجودة في وِعاء الزهر ، فـ (مِن) مع النكرة تأتي لإستغراق الجنس أي ما يخرج من جنس ثمرات كائن ما يكون من أكمام الثمرات كلها ، كيفما تكون ، وأينما تكون ، وهنا توافق بين الخارج وبين ما يخرج منه فهما متساويان متعادلان .

إذن الكلّ مع الكلّ فهو استغراق للأصناف في النباتات كلّها . كلّ صنف بصنفه ، كلّ نوع بنوعه ، وهو تعالى يَعلَمُه وقت خروجه لا متقدماً ولا متأخراً ، وللضمير هنا مزية أخرى ، فقوله : أكمامها يشمل الكلّ : الثمرات ، والأكمام ، وخروجها من أكمامها ، والكيف ، والكم ، والشكل ، على مرّ الزمان ، وتباين المكان ، إذ في دلالة استعمال الضمير توسع ، بخلاف قولنا : (ما تخرج من ثمراتٍ من الأكمام) ، فالكلام حينها على الأكمام ، وقولنا : (ما تخرج من ثمرات من أكمام الثمرات) فالكلام على الثمرات . فتأمل كيف أن الساعة غيب غائر

في ضمير المجهول ، والثمرات في أكمامها سر غير منظور ، والحَمل في الأرحام غيبٌ كذلك مستور ، وكلها في علم الله ، وعلم الله بها محيط . يتتبع الثمرات في أكمامها ، والأجنة في أرحامها . في جنبات الأرض كلها يرقَب الأكمام التي لا تحصى ، ويتصور الأجنة التي لا يحصرها خيال! وترتسم في الضمير صورة لعلم الله بقدر ما يطيق الضمير البشري أن يتصور من الحقيقة التي ليس لها حدود .صورة عظيمة ومشهد رهيب كل هذا الكم المرعب يبرز (وبرزوا لله الواحد القهار) في لحظة هذا التوسع العظيم تأتّى من دلالة التخصيص الحاصلة من إضافة الضمير (ها) ترهيباً من مشهد يوم عظيم . **ولمزيد من المبالغة بإضافة الضمير(ها) لكلمة (أشراط) . مع دلالة كناية الغيبة والخفاء (المجاز المستعار للتمثيل)** فإن العلامة والأمارة هما الأثر الذي تتركه الأداة التي يُعَلَّم بها ، والعلامات التي تظهر بوجود مؤثر هي الأشراط ، ووجود المؤثر دليل وجود المتأثر ، وعلى هذا يكون المراد في قوله تعالى : {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} [محمد : ١٨] ، أي : كلّ رأى علاماتها ، إذ لابد من ظهورها أولاً ، ولا بد من وجود سبب لظهورها .في قوله تعالى : " (فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها ، لا لمطلَق إتيانها ، على معنى : أنّه لم يبقَ من الأمور الموجبة للتذكير أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشراطها ، فلم يرفعوا لها رأساً ، ولم يعدُّوها من مبادئ إتيانها ، فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة "[٥٢]. أما استغراق النسبة بالضمير (ها) فهو دليل عموم الحال المتأتّي من خصوص الإضافة ، فدلّ على تخصّص الأشراط بالساعة ، ودلّ بالتوسّع على شمول عموم الأشراط بدلالة صيغة (أفعال) ، ودلالة الاتساع في المساحة الزمانية المتأتية من التوسع الصوتي للمدّ الطبيعي في ألف الضمير .وفي قوله : (قد جاء أشراطها) كذلك ، تحقق وقوع الشرط بوجود مظهره ، وهذا من المجاز المستعار للتمثيل ، ويؤكد هذا لفظة (المجيء) التي تعني تحقق الوقوع ؛ لأن اللفظ متأخر عن الدلالة ، فحين نقول : مجيء و جيئة ، فهو دلالة على العودة الى الخلف لا التقدم الى الأمام ، وهذا يعني أن أشراطها قد وقعت ، وتؤكد ذلك صيغة الماضي (جاء) ، أي : وقعت أشراطها . وهذا خِلاف (الذهاب) الذي هو المغادرة الى الأمام ، والذي هو الإتيان الذي لا ينصرف إلى الماضي ، قال تعالى:(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) ، وفي إضافة النكرة إلى الضمير دليل شمول الأشراط بلا استثناء .وإذا أضفنا الأشراط إلى الساعة (أشراط الساعة) تكون العلامات والأمارات جميعها قد ظهرت وعُلِمت ؛ لأنّها جاءت ؛ ولأنّه ذَكَرَ (قد) وهي مع الماضي تفيد التحقيق ومن الاتساع كذلك الضمير يحتمل العودة إلى الساعة والبغتة معاً ، أو إحداهما ، أي : جاءت أشراط الساعة أو أشراط البغتة . فضمير الكناية عائم يَسَع الأمرين معاً ، وفي خفاء الدلالة على أحدهما سر عجيب ، إذ جعلهم في حَيرة من أمرهم ، فهم لا يدركون ما تحقق أشراطه ، أهو الساعة ؟ فلا يعلمون متى تَقَع ، وإن تحققوا من وقوع علاماتها وقُربها، ولا هم يعلمون وقت المباغتة وأماراتها ؟!! وهذا هو حالهم ، فقد وصف الله تعالى عدم إدراكهم بقوله : {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } [محمد : ١٦، نعم هم خرجوا من عنده وكانوا يسمعون ، لكنهم لا يعلمون ، إذ هم ليسوا من الذين أوتوا العلم ، لذا فهم يسألون الذين أوتوا العلم . أولئك طبع الله على قلوبهم ، فهم يرون علامات الساعة ولا يأبهون بها ولا يتعلمون من أخطائهم ، ويرون علامات المباغتة ولا يعتبرون بها ولا يأبهون لها ، اتبعوا أهوائهم وأضاعوا الصواب والهدى .أليس في كناية الغيبة والخفاء دلالة مطابقة بين الحال والخطاب؟ إذ جعل الخفاء في المكني خفاءً في الدلالة على الحال ، والله تعالى أعلم . **فإذا وقعت الواقعة فإذا هي شاخصة أبصار الذين لا يؤمنون ويتم اكتمال الصورة بإضافة الضمير(ها) الى الكلمة (أبصار)** في قوله تعالى : {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ } [النازعات : ٨ ، ٩] ، " كناية عن الذل والخوف ، وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز ، والتقدير : قلوبُ أصحابها "[٥٣] " ، أي : أبصار أصحاب القلوب . والخشوع حقيقته : الخضوع والتذلل ، وهو هيئة للإنسان ، **ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي** من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة "[٥٤].

لقد توسع الضمير في دلالته ليشمل (أبصار أصحاب القلوب) ، ويدل بالكناية على (أبصار القلوب) ؛ لأن تنكير الأبصار وإضافتها إلى الضمير غرضه التوسع والعموم ، وإضافة الضمير إليه يدل على القصدية في إرادة التوسع ، بسبب الدلالة على التخصص ، فتأمل كيف مزج بين الأبصار والقلوب ، فجعل القلوب تنظر وجعل الأبصار تخشع ، وبدَّلَ الوظائف فأودع في القلوب وظيفتين فصارت القلوب واجفة محدِّقة خاشعة ذليلة ، تتحكم بالبصر فإذا انكسرت القلوب انكسر البصر ، وهذا يُصَدّقه قول الشاعر :

وإطراقُ طَرف العين ليس بنافعٍ .... إذا لم يكنْ طَرفُ الفؤادِ بِمُطرِقِ

ذاك هو القصد في هذا **التصوير الفني المجازي** ، في لوحة فنية معبرة وسيلتها اللغوية الضمير(ها).**وفي إضافة الضمير(ها) لكلمة (أرجاء) أبلغ من ذلك** ، **ففي** قوله تعالى : {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ

ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٦ ، ١٧]. قيل : " أي : على حافَّاتِها حين تنشق ، والظاهر أن الضمير في حافاتها عائد على السماء ، وقيل : على حافّات الأرض ، ينزلون إليها يحفظون أطرافها ، وإن لم يجر لها ذكر قريب . ورُوي أن الله تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفاً على حافات الأرض ، ثم ملائكة الثانية فَيُصَفُّون حولهم ، ثم ملائكة كل سماء ، فكلما ندّ أحد من الجن والإنس وجن الأرض أحيط بها " [٥٥].

وقيل " المـلَك هنا اسم جنس ، والأرجاء الجوانب واحدها (رجى) مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى أنّ الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء ؛ لأنّها إذا وَهِيَتْ وقفوا على أطرافها ، وقيل : يعود على الأرض ؛ لأنّ المعنى يقتضيه ، وإن لم يتقدم ذكرها ، ورُوي في ذلك أنّ الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض . [٥٦] وقيل : الملائكة على شقها ، أي : على حافاتها ، على ما لم يَهِ منها ، ينظرون إلى أهل الأرض ، وما أتاهم من الفزع . [٥٧]نتبين في قوله تعالى: **(أرجائها)** دلالة التوسع باستعمال الضمير فقد نَكَّرَ الأرجاء وأضافها إلى الغائب، إذ في قولنا : على أرجاء السماء أو الأرض ، دلالة الكلام على السماء أو الأرض ، وفي تعريف (**الأرجاء**) بأل ؛ الدلالة على الأرجاء المعروفة ،أمّا في قوله تعالى : **(أرجائها)** ، فدلالة الكلام على الكيفية ، ليشمل حالة المـلَك في ذاك الوقت ، بدليل تشقق السماء يومئذ والملَك يقفون على أرجائها الباقية بعد التشقق . ومما يدلل على عدم حصر الإرادة بـ (**أرجاء السماء أو الأرض**) ؛ أنه من المروي أن الملائكة يحفُّون السماء والأرض ، ولا يوجد مقدار أربعة أصابع إلا ومَلَك ساجد أو راكع ، ولذلك كان يقول عليه الصلاة والسلام : (إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطَّت السماء وحق لها أن تَئِط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله) ، وفي رواية (أَطّتْ السّمَاءُ وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إلاّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ سَاجِد أو مَلَكٌ راكع) [٥٨]، فترجَّح أنه أراد التعبير عن حالة مخصوصة من مشاهد يوم القيامة لانَعلمُ كُنهها ولا كيفها ، فهذه الأرجاء المخصوصة تضاف الى الأرجاء السابقة . فتأمّل روعة هذا التعبير بين التوسع والتخصيص .**ولا يغادر الضمير صيغة أفعال مع مشاهد يوم القيامة إلا وهو يستعرض المشاهد القاسية** في قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وقال الإنسان ما لها (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)} [الزلزلة : ١ – ٤] .قيل إنها تزلزل عند النفخة الأولى فتخرج كنوزها وتزلزل عند الثانية فتخرج موتاها ، وهو ما أشار إليه الآلوسي [٥٩] . وإن دلالة الضمير في قوله تعالى : (زلزالها) ، توحي بالعظمة ، أي : زلزالها العنيف الذي لا يشبه الزلازل المعهودة .

وذهب ابن عاشور مذهباً نتلمس فيه دلالة القصدية والنسبة دالاً على التوسع ، إذ قال : " وأضيف {زِلْزَالَهَا} إلى ضمير الأرض ؛ لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها ... ، وإخراج الأرض أثقالها ناشئ عن انشقاق سطحها فتقذف ما فيها من معادن ومياه وصخر. وذلك من تكرر الانفجارات الناشئة عن اضطراب داخل طبقاتها وانقلاب أعاليها أسافل والعكس " [٦٠]. وقيل : " لأنَّ إخراجَ الأثقالِ حالُ بعضِ أجزائِها " [٦١] أمّا " أخرجت الأرضُ أثقالها ، أي : ما في جوفها من الأموات والدفائن ، جمع : ثِقْل ، وإظهار الأرض في موضع الإضمار لزيادة التقرير ، أو : للإيماء إلى تبدُّل الأرض غير الأرض " [٦٢] . "وقيل : موتاها تُخرجهم في النفخة الثانية ، ومنه قيل للجن والإنس : الثقلان " [٦٣] ، وقيل " الأثقال : كنوز الأرض ، وموتاها ، والذُّنوب ، والأحمال الثقيلة " [٦٤] ، ويحتمل أن يكون إخراج الموتى كالكنوز عند النفخة الأولى وإحياؤها في النفخة الثانية ، وتكون على وجه الأرض بين النفختين . إنّ دلالة (أثقالها) تعني الأثقال غير المُتَصوَّرة عند البشر ، أي :غير المنظورة وغير المدركة . شيء فاق حدود المتوقع . ثم إنّ تخصيصها بالضمير يدل على النسبة والاستغراق . إذ المراد الأثقال التي تخصها من أصول الجبال التي تُثَبِّت الأرض مغروسةً فيها كالأوتاد ، فإذا خرجت من أوكارها تفجَّرت الأرض فثارت البراكين وسارت ينابيع الحِمَم ، أما الأثقال الأخرى من دَفائن وأموال فتحتمل القصد وربما لا تكون مقصودة ، فاستبان التوسع في النص من إضافة الضمير ، والأصل : (أخرجت الأرض أثقال الارض) ، وهذه الفخامة ستتممها الآية اللاحقة .

يقول النحاة : انتقل الى الضمير لتجاوز التكرار , والحقيقة أنه لا يوجد تكرار هنا ، فالأرض الأولى فاعل ، والثانية مضاف ، والمخصص بالإضافة وهو المفعول معرفة أو يقوم مقام المعرفة بالتمام ، فيصبح المعنى (أخرجت الأرض الأثقال) أي :كل الأثقال لا تُبقي شيئاً ، وهذا هو التغيير المذكور ، وحقيقة أضافته إلى ضمير تعني أثقالاً منسوبةً لها لا كل الأثقال ، وهو معلوم من قول أبي عبيدة : أنّ الثقل في بطنها ينسب لها ، وعلى ظهرها أي : عليها ، فإذا أخرجت نصف الأثقال سواء كانت في بطنها أو فوقها فإنّه يصدق عليها أثقالها، وكذا إن كان أقل أو أكثر. لكن لا يعني أن المراد منه الشمول والاستغراق ، **وهذه هي فائدة الكناية** ، إذ كَنّى بها عن النسبة من غير استغراق ، بعكس الاسم .أما في الآية الرابعة من السورة نفسها ، في قوله تعالى : { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } [الزلزلة : ٤]، ففيها أوجُهٌ ، منها : تُحدِّث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها ، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة . ومنها : تُحدِّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها ، قال ابن مسعود : فتخبر بأنّ أمر الدنيا قد انقضى ، وأنّ أمر الآخرة قد أتى ، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم ، وعيداً للكافر وإنذاراً

للمؤمن [65].وقال الآلوسي : " (أَخْبَارَهَا) باعتبار تعدد دلالتها على عدد القائلين " [66] . إنّ افتتاح الكلام بظرف الزمان ، وإطالة الجملة التي أضيف إليها الظرف ؛ فيه تشويق إلى متعلق الظرف ، إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتا لِيُروا أعمالهم ، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث، ثم الجزاء ، وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه الذي لا يهم الناس إلا معرفة وقته وأشراطه ، **فيكون التوقيت كناية عن** تحقيق وقوع الموقت . وما يحدث فيه من الأهوال ، فهو مجاز، وحديث بلسان الحال ، وقيل : هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة ، فيعم قوله تعالى: (يومئذٍ تحدث أخبارها) أي تخبر الأرض الأخبارَ ، فالأرض هي التي تحكي وتسردُ وتحدّثُ وتقصُّ الأخبارَ، والأخبار مفعول ، فالتقدير : تحدّث الأرض أخبار الأرض ، فصارت الاخبارُ مُخبِرةً وحلّت محل الفاعل في الإخبار ، فكأنه صار فاعلان : الأول (تحدث الأرض) والثاني (تحدث أخبار الأرض) ، وتكون الجملة الثانية في محل مفعول للجملة الأولى، فهذا توسع في الدلالة يصير الى فاعلين أحدهما مفعول به حقيقةً .إن وجود الضمير هنا يحل هذا المشكل فيزول الحرج ، فبدل أن تكون الدلالة (تحدث الأرض أخبارها) والمتحدَّثُ عنه الأخبار، يتحول المفعول فاعلاً ؛ لأن حقيقة الأَخبار مُخبِرة ، ويحافظ على دلالة الأصل فيكون (تُحدِّث الأرضُ الأخبارَ) ، أي: تُعدِّد الأخبارَ وتُخبرها ، ويبقى الفعل تُحدّث ، متعدياً لا لازماً ، والتقدير: تحدث الأرضُ أخباراً هي أخبرت بها لا الأخبار التي أُخبرت بها – وهذه الأخبار أخبار مخصوصة معهودة بهذا الأمر ، أي: ما يخص الأنسان وسؤاله ، وهو سؤال المشدوه المبهوت المفجوء ، الذي يرى ما لم يَعهد ، ويواجه ما لا يُدرك ، ويَشهد ما لا يَملِكُ ، الصبرُ أمامه والسكوت ، (مالها) ما الذي يزلزلها هكذا، ويرجُّها رجاً ، (مالها) ؟ وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ; ويحاول أن يُمسك بأي شيء يسنده ويثبته وكل ما حوله يمور موراً شديداً ، والإنسان قد شَهِدَ الزلازل والبراكين من قبلُ وكان يُصاب منها بالهَلع والذُعر والهلاك والدمار ولكنه حين يرى زلزال يوم القيامة لا يجد شبهاً بينه وبين ما كان يقع من الزلازل والبراكين في الحياة الدنيا . فهذا أمرٌ جديد لا عَهد للإنسان به ، أمر لا يعرف له سراً ولا يذكر له نظيراً ،أمر هائل يقع للمرة الأولى . (يومئذ) يوم يقع هذا الزلزال ويُشْدَهُ أمامه الإنسان ؛ (تُحَدِّثُ أخبارها ، بأن ربك أوحى لها) ، يومئذ تُحدث هذه الأرض أخبارها وتصف حالها وما جرى لها . لقد كان ما كان لها بأن ربك أوحى لها وأمرها أن تمور موراً ، وأن تزلزل زلزالها ، وأن تُخرج أثقالها ؛ فأطاعت أمر ربها وأذِنت لربها وحُقَّت . تُحدِّث أخبارها ، فهذا الحال حديث واضح عما وراءه من أمر الله ووحيه إليها , لذا جاء ضمير الكناية دليل إضافةِ نسبةِ العمل لا الأَخبار المنسوبة ، أي : الأخبار التي أخبرتها . وهنا لا توحي صيغة (أفعال) بالدلالة على القلة أبداً ، وكيف تصحب القلة أحرف الإطلاق والمد والاستطالة ؟!.

الخاتمة

بعد رحلة مع الآيات القرآنية الشائقة البديعة لعلنا وصلنا إلى شيء من مواطن العلم في سر الأسرار كتاب الله الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن نتائج هذا البحث الآتي:

١- إضافة ضمير الكناية (ها) إلى صيغة (أفعال) يحتمل الدلالة على العموم والخصوص فهو من أساليب التوسع ، والمبالغة فيه أشد .

٢_ النسبة في ضمير الكناية إلى هذه الصيغة هي نسبة فاعلية وأحياناً نسبة مفعولية وقد تكون نسبة تخصيص وهو الأقل.

٣ – وجدنا ترابطاً واتساقاً بين دلالة الضمير ودلالة المجاز في السياق القرآني .

٤_ صيغة أفعال ذات دلالة حقيقية على الكثرة وليست على القلة ، ووجود ضمير الكناية (ها) له مزية في قصدية التعيين والتحديد والنسبة وتوسع الدلالة .

٥ – انحصرت إضافة الضمير في المبالغة بين الترغيب والترهيب في السياق القرآني .

٦_ إضافة الضمير (ها) لم يرد إلا في المجردات والجمادات مما جُمع على صيغة (أفعال)وهي : الأبواب , الأقفال , الأثقال , الأدبار , الأطراف , الأقطار , الأرجاء , الأبصار , الأصواف , الأوبار , الأشعار, الأقوات , الأكمام , الأمثال , الألوان , الأشراط , الأنباء , الأخبار.

٧- لم تُضَف الجموع المتعلقة بالإنسان والحيوان مثل : أقوام و أنعام , ولا صفاتهما إلى الضمير(ها) .

الهوامش

[1] اللسان :ضمر

[2] شرح المفصل :٨٤/٣ .

[3]. ابن منظور : اللسان الافريقي المصري :٤٩١/٤،(ضمر)

[٤]. ابن منظور: اللسان::٤٩١/٤،(ضمر)

[٥]. الازهري : معجم الافعال المتعدية بحرف: ٢٥١، و شرح شذور الذهب : ١٣٤ وشرح التصريح ، للشيخ خالد: ٩٥/١ ومعاني النحو:

[٦]. شرح التصريح،:٩٥/١.

[٧]. سيبويه الكتاب،: ١٢٧/٤.

[٨] . ابن يعيش : شرح المفصل،:٨٤/٣.

[٩]. ابن عقيل : شرح الرضي على كتاب الكافية في النحو : ٣/٢ . وينظر : شرح على الفية ابن مالك : ٨٨/١.

[١٠]. ابن سليمان أسرار النحو:لأحمد بن سليمان (المعروف بابن كمال باشا): ١٧٠.

[١١] . السيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين : ١ /٥٦.

[١٢] . شرح الرضي: ٥/٢.

١٣ . الشايب : شرح المفصل: ٨٤٠٣ ، وينظر ضمائر الغيبة أصولها وتطورها ، بحث للدكتور فوزي حسن ، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي –جامعة الكويت المجلد :٨ العدد : ٤٦ ١٩٨٧ :ص١١ .

١٤ . شرح المفصل: ٣/ ٨٤-٨٥.

١٥ . ابي البقاء : الكليات: ٥٧١.

[١٦] – ابن الناظم : شرح الألفية ،: ١٢٢

١٧ . ابن عاشور : البحر المحيط لأبي حيان : ٢٢١/٢.وينظر التحرير والتنوير المعروف بتفسير (١٣٩٣هـ) : ١٦٦/٢٥.

١٨ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٢٦٢/١

[١٩] ابن الناظم : شرح الالفية ،: ١٢٣.

[٢٠] نفسه : ١٢٣.

٢١ . بن عجيبة : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، المعروف بتفسير ابن عجيبة ، (١٨٠٩م) : ٣٤٤/٥.

[٢٢] . حادى الأرواح: ٨٨ .٩٤ ، و الكشف والبيان :٢٥٧/٨ ، وإرشاد العقل السليم ٢٣/٦ ، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٨١/٨

[٢٣] . النيسابوري : ينظر حادى الأرواح: ٨٨ .٩٤ ، و الكشف والبيان لابي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي:٢٥٧/٨ ،

٢٤ . القرطبي الجامع : لأحكام القرآن ،: ١٥٠/٧.

٢٣. التحرير والتنوير: ٩٤/١٣ .

٢٦ . البحر المديد: ١٧٩/٥. وينظرالتحريروالتنوير: ٩٤/١٣.

[٢٧] البغوي : مختصر تفسير: ٧٨/٣ .

٢٨ . الدر المصون في علم الكتاب المكنون: ٤٢٤٦/١.

[٢٩] . تفسير البحر المحيط: ١٦٧/٤

[٣٠] ينظر : النكت والعيون : ٣٠٣/١ .

٣١ تفسير البحر المحيط: ١٦٧/٤.

٣٢ السمعاني : ينظر : النكت والعيون٣٠٣/١ ، و تفسير الخازن١٠٩/٢ ، وتفسير القرآن: ١ /٤٣٤ ، و روح المعاني ، ٧٨/٤ .

٣٣ . الكشاف: ٤١٧/١، والتحرير والتنوير:١٥٠/٤.

٣٤ . البحر المديد : ٢٧٢/٢.

٣٥ . الكشاف: ٢٦٤/٢.

[٣٦] . تفسير ابي السعود: ٢٣/٣ ،و ينظر روح المعاني : ٢٨٣/٦

[٣٧] . التحرير والتنوير: ٢١٨/٨

[٣٩] . البغوي : ينظر معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود (٥١٦ هـ) : ١٦٥/٧

[40] .ينظر التحرير والتنوير: ٥٦/٢ .

[41] . للماوردي : ينظر: النكت والعيون ،: ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :٥٠/٦،تفسير اللباب في علوم الكتاب ،لأبي حفص سراج الدين النعمان

[42] . الإستانبولي : ينظر تفسير روح البيان ،لإسماعيل مصطفى: ١١٥/٧

[43] . التحرير والتنوير: ٢١٨/٨

٤٤ . الزمخشري : ينظر الكشاف: ٣٣٢/٦.

[45] . الرازي : أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، : ٢٠٠/٥. وينظر مثله في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي: ١٥٩/٦. و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الآلوسي: ١٥٩/٩.

٤٦ . ابن عجيبة : ينظر البحر المديد ،: ٦٧/٦. وفي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال :١١ / ٩٦.

٤٧ . التحرير والتنوير : ٩٦/٢٦.

٤٨ . ينظر شفاء العليل: ٩٥.

[49] . السيوطي : النكت والعيون: ٣١٩/٢ ، والتحرير والتنوير :١٧/ ٥٥ ، والدر المنثور في التأويل بالمأثور ، : ٦ / ٢٧ .

[50] . التحرير والتنوير : ٥٥/١٧

٥١ . تفسير ابن عاشور : ٢٣٧/٢٤ ، وينظر لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن الشيحي أبو الحسن : ٩١/٤ .

١٦ . . ينظر تفسير البحر المحيط٨٦/١٠ .

[52] . البحر المديد :٦١/٦

٥٣ . التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٥٤٥/١

[54] . التحرير والتنوير: ٦٠/٣٠

٥٥ . البحر المحيط:٣١٨/٣ ، ١٠ /٣٣٩.ولم أجده في متون الحديث ولا شروحه .

٥٦ . ابن جزي : ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ،: ٢٤٥٨/١.

[57] . السيوطي : ينظر النكت والعيون: ٣١٧/٤. والدر المنثور في التأويل بالمأثور، للامام السيوطي :٩٢/١٠

[58] القرطبي : ١ / ٣١٣ ، و التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي للزحيلي : ٢٩ / ٢٣٩،

[59] للآلوسي : ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨٣/٢٣

٦٠ . التحرير والتنوير : ٤٣٣/٣٠.

[61] . للماوردي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤٦/٧

[62]. البحر المحيط: ٢٠/١١

٦٣ . الماوردي : النكت والعيون ، : ٤٤٤/٤ ، وينظر وتفسير اللباب في علوم الكتاب ،: ٤١٩/١٦.

٦٤ الفيروز آبادي : القاموس المحيط : ١٠٤٥ (ثقل) .

٦٥ . العمادي : ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤٦/٧.

[66] . للآلوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨٣/٢٣